



جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

مفهوم السنة والحديث

الدراسات العليا/ الماجستير

الدراسات الأولية/ المرحلة الثانية

إ.د سعد محمود حسين

saad.mahmood.h@tu.edu.iq

٢٠٢٣-٢٠٢٤

مفهوم السنة والحديث

إن عناية المسلمين -ابتداء من الصحابة الكرام- بالحديث وعلومه كانت ثمرة معرفة عميقة وأكيدة بالسنة ومعناها والحاجة إليها، فقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم هذا الدين عن رسول الله ﷺ، وكان ما يتلقونه إما قرآنا يتلى ويتعبد به، وإما أقوالا وأفعالا وتقريرات وصفات صادرة عن النبي ﷺ باعتباره رسول رب العالمين، وكان مما أخبرهم به كتاب الله تعالى أن محمدا ﷺ معصوم في قوله وفعله وإقراره وصفته: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٣، ٤]،

وقال لهم: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر: ٧]

وجعل طاعتهم له سببا في هدايتهم: (وإن تطيعوه تهتدوا) [النور: ٥٤]

وحذر الذين يخالفون أمره: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: ٦٣]،

ومن هنا فقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم معنى شهادة "أن محمدا رسول الله" وأنها شق الركن الأول من أركان الإيمان، وأن مقتضى هذه الشهادة التسليم بجميع ما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ ولما كانت مهمة الرسول ﷺ تتناول الدنيا والآخرة، والفرد والجماعة، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعقيدة والشريعة، والسر والعلن، فقد كان عليهم أن تستيقظ قلوبهم وعقولهم وأبصارهم وأسماعهم لمتابعتهم والسير على هديه، وأدركوا أن أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته في أحواله كلها سنة.

السنة في اللغة والاصطلاح

والسنة في اللغة من مادة (سن) . يقول ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة": (السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء، واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنا إذا أرسلته إرسالا)

وقال ابن الأعرابي : (السن مصدر سن الحديد سنا، وسن للقوم سنة وسننا، وسن الإبل يسنها سنا إذا أحسن رعيته، حتى كأنه صقلها، وسن المنطق حسنه، فكأنه صقله) ، وتابع صاحب "اللسان العرب" في ذكر معاني هذه المادة اللغوية التي تدور على معاني الجريان والاطراد

والصقل والإحداد، ولما كان الوجه مجمع الحسن أطلق عليه: سنة، قال
ذو الرمة : بيضاء في المرأة سنتها ملساء ليس بها خال ولا ندب

وسنة النبي ﷺ تحمل هذه المعاني اللغوية، لما فيها من جريان الأحكام
واطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها، فيكون وجه المجتمع السائر على
هديها ناضرا بخيرها وبركتها، ويستفاد من المعاني اللغوية أن السنة
فيها معنى التكرار والاعتیاد، وفيها معنى التقويم، وإمرار الشيء على
الشيء من أجل إحداه وصفله.

وسن الله سنة أي بين طريقا قويمًا، وسنة الله أحكامه وأمره ونهيه، وقد
ورد ذكر السنة والسنن في القرآن الكريم سبع عشر مرة، وفي جميع
المواضع يكون المعنى: أحكام الله الجارية المطردة.

وأما في الاصطلاح:

فالسنة ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة
خلقية من مبدأ بعثته حتى وفاته، وقد تأتي السنة قولًا أو فعلًا من
الصحابة باعتبارهم شهود عصر النبوة المقتبس من مشكاتها، أو من
التابعين باعتبارهم شهود عصر الصحابة، وأقرب الناس إلى عصر
النبوة.

وأما الحديث : فهو أعم من السنة من حيث المفهوم، إذ أنه يزيد على
السنة في تناوله لكل ما صدر عن النبي - ﷺ - حتى ولو كان منسوخا
ليس عليه العمل، ويتناول صفات النبي - ﷺ - الخلقية من حيث لونه
وجسمه وشعره وطوله، وصفاته الجبالية من حيث صحته ومرضه، وما
يميل إليه من الطعام وما لا يرغب فيه، فليس المقصود برواية هذه
الأمر الجريان والاعتیاد والاتباع، وإنما المقصود -عند روايتها-
الوقوف على عصر النبوة، ومعرفة النبي - ﷺ - حتى يصبح شخصه
وعصره ومراحل سيرته على تمام الوضوح والجلال، وقد وضح
علمائنا هذا التفريق بين الحديث والسنة، وروي عن ابن مهدي أنه قال:
(سفيان الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام
في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعا) ،
ومعنى ذلك أن سفيان الثوري أكثر رواية للأخبار ومعرفة بالنقد
وبالرجال، والأوزاعي أعلم بالطريقة العملية من سنن الأقوال والأفعال
والأخلاق، ومالك جمع بين الأمرين، بين الطريقة العملية وبين الرواية
والنقد.

وانسجاماً مع هذا التفريق فإن أخبار الجاهلية المروية في كتب الحديث تدخل في الحديث ولا نطلق عليها مسمى السنة، وكذلك الأحاديث المنسوخة كحديث الوضوء مما مست النار، وهو ما صح عن أبي هريرة أنه قال: (قال رسول الله - ﷺ -: الوضوء مما مست النار، ولو من ثور أقط، قال: فقال له ابن عباس : يا أبا هريرة: أنتوضأ من الدهن؟ أنتوضأ من الحميم؟ قال: فقال أبو هريرة: يا بن أخي: إذا سمعت حديثاً عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له مثلاً) ، فهذا الحديث يفيد أن من يأكل أو يشرب ما طبخ على النار فإنه يتوضأ بعد ذلك، والسنة ليست على هذا، بل على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، قال أبو عيسى الترمذي : (والعمل على هذا -أي ترك الوضوء مما مست النار- عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم، مثل سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق ، إذ رأوا ترك الوضوء مما مست النار، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ وكان هذا الحديث ناسخاً للحديث الأول: حديث "الوضوء مما مست النار"

ونخلص من هذا إلى أن الحديث أعم من السنة ، فكل سنة حديث، وليس كل حديث سنة، والسنة هي غاية الحديث وثمرته، ومن السنة ما يفيد الوجوب أو الحرمة ومنها ما يفيد الندب أو الكراهة ومنها ما يفيد الإباحة، وهذا مدلول السنة عند المحققين، وأما الفقهاء فالسنة عندهم نوع من الأحكام الشرعية، وهي ما أفاد الاستحباب والندب.

مصدرية السنة للأحكام والاحتجاج بها

السنة مصدر من مصادر الأحكام الشرعية لقول الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر: ٧]

وعندما يرتب العلماء مصادر الشريعة قائلين: القرآن ثم السنة فإن هذا الترتيب ترتيب في الذكر والشرف، ولا يؤخذ بمعنى أن السنة متأخرة في مصدريتها عن القرآن الكريم، ولقد عنون الخطيب البغدادي فصلاً من كتابه "الكفاية" فقال: "باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله ﷺ من حيث وجوب العلم ولزوم التكليف"

ولا ريب أن السنة في معظمها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث ثبوتها، إذ القرآن الكريم كله متواتر ، وقليل من السنة ما نقل بالتواتر، وأما من حيث إفادتها للأحكام الشرعية، فالقرآن يحلل والسنة تحلل، والقرآن يحرم والسنة تحرم، والقرآن الكريم يندب والسنة تندب، [ص: ٣٠] والقرآن الكريم يبيح والسنة تبيح، فالسنة مثل القرآن الكريم

في التشريع وإفادة الأحكام، وقد روى المقداد بن معد يكرب (عن رسول الله ﷺ أنه قال: ألا إنني أوتيت القرآن ومثله، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها)

ولما كان القرآن الكريم كتاب تعبد وتلاوة كانت آياته محدودة، وكلماته معدودة، وهو دستور مجمل، يعنى بالكليات أكثر مما يعنى بالفرعيات والجزئيات، وما ورد فيه من تفاصيل الأحكام قليل كما في آيات المواثيق، ولذا فقد أحال القرآن الكريم على السنة لتبين الأحكام، على وجه الابتداء، أو التفريع، أو النسخ، والقرآن الكريم من غير سنة لا يمكن فهمه ولا يمكن تطبيقه، والذين يقبلون القرآن وحده، ويشككون في السنة إنما يحاربون القرآن بأسلوب ذكي، قد يغيب عن كثير من المسلمين، وهم يعملون على تعطيل القرآن عن العمل، فالقرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن، هكذا قال مكحول

روى الخطيب بسنده إلى الحسن أن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: ادن، فدنا، فقال: رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاء، وصلاة العصر أربعاء، والمغرب ثلاثاء، تقرأ في اثنتين؟ رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا، والطواف بالصفاء والمروة؟ ثم قال: أي قوم: خذوا عنا فإنكم والله إلا تفعلوا لتضلن

ولقد بين الإمام محمد بن نصر المروزي مكانة السنة وأقسامها، فقال: " فالسنة تتصرف على أوجه: سنة اجتمع العلماء على أنها واجبة، وسنة اجتمعوا على أنها نافلة، وسنة اختلفوا فيها: أواجبة هي أم نافلة؟ ثم السنة التي اجتمعوا أنها واجبة تتصرف على وجهين: أحدهما عمل والآخر إيمان، فالذي هو عمل يتصرف على أوجه:

سنة اجتمعوا على أنها تفسير لما افترض الله مجملا في كتابه، فلم يفسره، وجعل الله تفسيره وبيانه إلى رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) [النحل: ٤٤].

والوجه الثاني: سنة اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي ناسخة لبعض أحكام القرآن، وقال بعضهم، لا، بل هي مبينة في خاص القرآن وعامه، وليست ناسخة له، لأن السنة لا تنسخ القرآن، ولكنها تبين عن خاصه وعامه، وتفسر مجمله ومبهمه.

والوجه الثالث: سنة اجتمعوا على أنها زيادة على ما حكم الله به في كتابه، وسنة هي زيادة من النبي ﷺ ليس لها أصل في الكتاب إلا جملة الأمر بطاعة النبي ﷺ والتسليم لحكمه وقضائه، والانتفاء عما عنه نهى

"

وهكذا فإنه يتبين لنا أن القرآن الكريم لا تعرف أحكامه إلا من خلال السنة، وأن الإسلام لا يتكامل بناؤه ونظامه إلا من خلال السنة، ورحم الله عبد الرحمن بن مهدي إذ يقول:

" الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب " ولسنا مخيرين بأخذ السنة أو تركها، فلا إسلام بلا سنة، وكما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (القرآن وعاء والسنة غطاء) ، ومعنى كلامه أن السنة هي الكاشفة عن معاني القرآن وأحكامه.